الشعر

عَودٌ على ما سبق

تقدم لنا في الجزء الاول من هذه السنة كلامٌ في حد الشعر وبيان الخصائص التي يمتاز بها عن النثر على قدر ما أدّى اليهِ البحث واعانت عليهِ البصيرة . وتقريراً لما ذكرناهُ هناك نقول ان النثر هو القالب الطبيعي للكلام الموضوع للابانة عن المعاني التي تمثل في النفس يتخاطب بهِ العالم والجاهل والذكيّ والبليد والكاتب والأُميّ فوجب ان يكون بحيث تتفاهمهُ هذه الطبقات كلها ويعبر بهِ عن المقاصد بأبين الصور واوضحها وذلك يقضي ولا جرَم بان يُستعمل لكل معنًى اللفظ الموضوع لهُ بحيث يُنتقل من اللفظ الى المعنى من غير واسطة . وبخلافهِ الشعر فانهُ من الكلام الذي يُقصَد بهِ ما وراء مدلول اللفظ من مناغاة النفس ومناجاة الوجدان فتُورَّى فيهِ المقاصد تحت الصور الخيالية وتُبرَز المعاني تحت ثوبٍ من المجاز او الكناية ونحوهما ولذلك اختصّ بمخاطبات البلغآء وطبقات الكتّاب والمتأدبين ونُحي فيهِ منحى البلاغة في المعنى والتأنق في الالفاظ والاساليب وأكثر فيهِ من التفنن بالانواع البديعية مما يجمع بعض اطراف المعنى الى بعض بما يربطها من تناسبٍ او تضادّ او غير ذلك بحيث تتألف منهُ صورٌ كاملة على جدّ ما يفعل المصور في تصوير الاشباح والمغني في تأليف النغم . والمقصود من كل ذلك الاستيلاء على قوى النفس وإلباس المعاني المتأدية اليها من طريق الحسّ او العقل ثوباً من الخياليات بعد تلوينهِ باللون الذي يريدهُ

الشاعر تبعاً لغرضهِ

والاغراض الشعرية ترجع في الغالب الى مقصدين احدهما تجسيم المعاني والمبالغة في اظهارها وتمثيلها مما تكون بهِ اشدّ انطباعاً في النفس واثبت اثراً في المدركة على ما تقدمت الاشارة اليهِ . والثاني التأثير في النفس بحدثٍ من الاحداث كالسرور والانقباض والاستئناس والاستيحاش والحب والبغض والخوف والرجآء وغير ذلك . ومن هذا الثاني اخذ المناطقة مايسمونهُ بالقياس الشعريّ وهو عندهم كل ما اثر في النفس بسطاً او قبضاً وذلك كما اذا وصفت الخمر فقلت هي ياقوتةٌ سيالة فان النفس تنبسط اليها وتجد لها ارتياحاً وسروراً وكما اذا وصفت العسل فقلت هو مِرّةٌ مهوّعة[1] فان النفس تنقبض عنهُ وتجد منهُ اشمئزازاً ونفوراً . وقد افصح عن هذا المعنى قول الشاعر

الشعر نارٌ بلا دخانٍ وللقوافي رُقًى لطيفه
كم من ثقيل المحلّ سامٍ هوت بهِ احرفٌ خفيفه
لو هُجي المسك وهو اهلٌ لكل مدحٍ لصار جيفه

واياهُ اراد الآخر في قولهِ

في زخرف القول تزيينٌ لباطلهِ والحق قد يعتريهِ سوء تعبيرِ
تقول هذا مُجاج النحل تمدحهُ وان ذممتَ تقل قيءُ الزنابيرِ
مدحٌ وذمٌّ وما غيّرتَ من صفةٍ حسن البيان يُري الظلمآء كالنورِ

وبيّنٌ ان هذا الذي ذكرناهُ من تأثير الشعر غير خاصّ بالكلام المنظوم ولكن كل ما تضمن شيئاً من الاغراض المذكورة وأثر في النفس تأثيرها

(١) المراد بالمرة الخلط المعروف بالصفرآء والمهوّعة المستفرغة بالقيء

عُدَّ شعراً . وقد قدمنا ان غالب شعر الاقدمين لم يكن على وزنٍ ولا قافية وانما كان الشعر عندهم يمتاز عن النثر بشرف معانيهِ وجزالة الفاظهِ ونوع اسلوبهِ . على ان عندنا من الصيغ النثرية ما يُجزئ عن الشعر وهو هذا السجع المفصَّل بما يشبه قوافي الشعر فان رنة الفاصلة يكون لها نفس تأثير القافية فلا يبقى ثمة فرقٌ الا بالوزن ولذلك ترى لغة السجع على الغالب تشبه لغة الشعر من حيث التأنق في الالفاظ والتراكيب والاغراب في المعاني وتوخي الصور المجازية وغيرها مما تقدم ذكرهُ . على ان السجع لا يعدم شبهاً من الوزن ونعني بهِ مراعاة طول القرائن بحيث تكون كل قرينتين متساويتين او قريبتين من التساوي فان ذلك من المستحسنات في السجع بل قد يعاب عكسهُ اذا كان التفاوت بين الفقرتين كثيراً . وهناك نوعٌ آخر من السجع بُني على التوقيع وقُسّم الى اجزآءٍ عروضيةٍ قصيرة وان لم يكن لهُ وزنٌ مخصوص فكان لهُ من الشبَه بالموسيقى ما يقرب من شبَه الشعر . ولم نرَ من هذا النوع الا البنود الخمسة التي رصّفها ابن معتوق وقد أُلحقت بآخر ديوانهِ نورد منها قولهُ في البند الاول

ايها الراقدُ في الظلمة نبّه طرْف الفكرة من رقدة الغفلة وانظر اثر القدرة واجلُ غلَس الحيرة في فجر سنى الحبرة وأرن الى الفلك الاطلس والعرش وما فيهِ من النقش وهذا الأُفُق الادكن في ذا الصنع المتقن والسبع السماوات ففي ذلك آيات ، هدًى تكشف عن صحة اثبات ، الهٍ كشفت قدرتهُ عن غُرر الصبح وأرخت طرَر النُجح فغدا يغسل من مبسمهِ الاشنب في مضمضتَيْ نور سناهُ لعَس الغيهب واستبدلت

الظلمةُ من عنبرها الاسود بالاشهب واعتاضت من مفرقها الحالك بالاشيب وهكذا الى آخر البنود وهو فنٌّ لطيف

واكثر ما تجد السجع الشعريّ في الخُطَب لما تدعو اليهِ من التفنن في المعاني والاشتقاق في الاغراض وتصوير الموصوفات والحوادث بما يميل بالسامع الى غرض الخطيب ويستدرجهُ الى هواهُ . ومن اظهر امثلتهِ الخطب المتضمنة لنوع من انواع المناظرة لما يكون هناك من معترك البلاغة وتصادم الحجج وتهالك كلٍّ من المتناظرين على ادراك الفلَج فيلوّن كلامهُ بكل صبغةٍ من المجاز ويصوّرهُ بكل صورةٍ من الخيال . وانظر في ذلك مناظرة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة فانهُ ابدع فيها كل الابداع واودعها من المعاني المتخيَّلة والاختراعات الغريبة ما يقصّر عنهُ كثيرٌ من الشعر المنظوم وما لو نُظِم لجآء من اعلى طبقات الشعر ولولا انها طويلةٌ لسردناها في هذا الموضع وهي مذكورة في خزانة الادب لابن حجة الحموي في الكلام على نوع التغاير فلتراجع هناك . وترى نموذجاً من هذا في البيان فيما صدَّرنا بهِ مقالة القمر وما جآء في صدر ترجمة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني وخاتمتها ومثل ذلك ما جآء في وصف الزُهرَة ومصير الارض في مجلد السنة الاولى من الضيآء مما تراهُ في اماكنهِ . وقد اتفق لبعض شعرآئنا المجيدين نظم شيءٍ من المقالات المذكورة لما وجدوا فيها من شبَه الشعر فنظم المرحوم المأسوف عليهِ نجيب الحداد ما جآء من ذلك في مقالة القمر وزاد عليهِ في قصيدةٍ بديعة نشرت في البيان . وانشدنا مرةً حضرة الفاضل الالمعي مصطفى بك نجيب وكيل ادارة الداخلية في الحكومة المصرية

ابياتاً المّ فيها ببعض ما ورد في صدر ترجمة السيد جمال الدين وكان يوماً يقرأ هذه الترجمة فمرَّ بهِ ما لم يتمالك عن افراغهِ في قالب النظم وقد علق بالمحفوظ شيءٌ من تلك الابيات نستأذنهُ في ايرادهِ هنا قال حفظهُ الله

نعت النعـاة يتيمة الدهرِ وخُلاصة الاحساب والفخرِ
امسى جمال الدين في جدثٍ ضمَّ العلآء ورفعة القـدرِ
ليت المنية اخطـأت رجلاً همدت بهِ نارٌ من الفكرِ
وعزيمةٌ لا تنتهي صُعُداً حتى تفوت معـارج النسرِ
« دبّت على مجرى فصـاحتهِ وأتتهُ بين الفكّ والنحرِ »
« عجبٌ لما فعلت ولا عجبٌ ان يسكن السرطان في البحرِ »

ومن هذا القبيل ما نقلهُ في خزانة الادب من نظم ابن ابي الاصبع لاحدى خُطب الامام عليّ في مدح الدنيا والرّد على من ذمها ولا بأس ان نروي هنا الخطبة والنظم جميعاً لقصرهما قال الامام (رضه)

ايها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغترّ بالدنيا ثم تذمها أأنت المتجرم عليهـا ام هي المتجرمة عليك . متى استهونك ام متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى . . قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيّلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها ودار عافيةٍ لمن فهم عنهـا ودار غنًى لمن تزود منها ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها . مسجد احبآء الله ومصلّى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلاها البلى

وشوقتهم بسرورها الى السرور . راحت بعافيةٍ وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً فذمها رجالٌ غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكروا وحدّثتهم فصدّقوا ووعظتهم فاتعظوا . وهذه صورة النظم

من يذمّ الدنيا بظلمٍ فاني بطريق الانصاف أُثني عليها
نصحتنا فلم نرَ النصح نصحاً حين ابدت لاهلها ما لديها
اعلمتنا ان المآل يقيناً للبلى حين جدّدت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوماً اليها
يومُ بؤسٍ لها ويوم رخاءٍ فتزوّدْ ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا تسلُ عما تراهُ من حادثيها
دارُ زادٍ لمن تزوّد منها وغرورٍ لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلّى الذي كم عفّرت صورةٌ بهِ خدّيها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنّة م منها وأُوردوا عينيها
رغّبت ثم رهّبت ليرى كل م لبيبٍ عقباهُ في حالتيها
واذا أُنصفتْ تعين ان يثني م عليها ذو البرّ من ولديها
(ستأتي البقية)

القهوة والقات

لحضرة الفاضل قاضي زاده احمد افندي رئيس الجمعية الاسلامية بالترنسوال

اطلعت على الرسالة التي نشرتموها في ضيائكم الزاهر بعنوان عمدة الصفوة في حلّ القهوة ولما كان كلٌ من البنّ والقات الوارد ذكرهُ في الرسالة